مقتطفات من كتاب
معاوية بن أبي سفيان
عباس العقاد



إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

زبدة الصفحات التالية أن رأس الدولة الأموية كان رجلاً قديرًا، ولكنه لم يكن بالرجل العظيم.

والفرق بين القدرة والعظمة يوضحه الاصطلاح ولا توضحه المعجمات اللغوية هذا التوضيح الذى نعنيه. فقد يقال عن العظيم: إنه قدير. ويقال عن القدير: إنه عظيم. ولا يخطئ القائل من الوجهة اللغوية فى هذا الترادف المقبول ما لم يقيده الاصطلاح.

إنما الاصطلاح الذى نعنيه وننظر فيه إلى أحوال الطباع أن القدرة غير العظمة فى أشياء.

فربما وصف الرجل بالقدرة؛ لأنه مقتدر على بلوغ مقاصده واحتجان[1] منافعه والإضرار بغيره، ولكنه إذا وصف بالعظمة فإنما يوصف بها لفضل يقاس بالمقاييس الإنسانية العامة، وخير تغلب فيه نية العمل للآخرين على نية العمل للعامل وذويه.

وقد سمع هرقل صيحة الوعاظ بهذا النكير بأذنيه فى مؤتمر أنطاكية، وغادر سورية وهو يودعها ذلك الوداع الذى كاد الرواة أن يحفظوه بكلماته اللاتينية كما يحفظون كلمات سليمان الحكيم عن باطل الأباطيل.

فقبل أن يفارق الأرض السورية صاح كأنه ينشج بالبكاء: «الوداع يا سورية، الوداع الأخير» Vale syria et ultimatum vale.

إن رواة التاريخ العربى يحدثوننا كعادتهم فى التوصيف والتقسيم، عن دهاتهم فى صدر الإسلام فيقولون: إنهم أربعة: عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، ومعاوية بن أبى سفيان. ويقولون: إن ابن العاص للبديهة، والمغيرة للمعضلات، وزياد لكل كبيرة وصغيرة، ومعاوية للروية.

دعا عمرو بن العاص ولديه عبد الله ومحمدًا فقال لهما: إنى قد رأيت رأيًا ولستما باللذين تردانى عن رأيى، ولكن تشيران علىّ.. إنى رأيت العرب صاروا عنزين يضطربان وأنا طارح نفسى بين جزارى مكة ولست أرضى بهذه المنزلة، فإلى أى الفريقين أعمد؟

قال عبد الله – وهو من أهل التقوى: إن كنت لابد فاعلاً فإلى على..

قال عمرو: إنى إن أتيت عليًا يقول لى: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية يخلطنى بنفسه ويشركنى فى أمره. وكان محمد ابنه الآخر على هذا الرأى فقال لهما عمرو: أما أنت يا عبدالله فقد اخترت لآخرتى، وأما أنت يا محمد فقد اخترت لدنياى.

المؤمنين فإنها لا تصلح له، فقال معاوية: نعم ما رأيت! ثم وهبها لعبد الله بن مسعدة الفزارى مولى فاطمة بنت رسول الله، وكان أسود، فقال له: بيض بها ولدك».

ولعلنا نقترب من توضيح الاصطلاح إذا نقلنا التفرقة من القدرة والعظمة إلى التقدير والتعظيم.

فنحن نقدر الإنسان بمقداره عظيمًا كان أو غير عظيم، بل نقدر الأشياء بمقاديرها ولو لم يكن لها عمل ولم تكن من وراء العمل نية، ولكننا إذا عظمنا الإنسان فإنما نوجب له التعظيم علينا؛ لأنه يعنينا ويستحق إكبارنا ويرتفع إلى المكانة التى تلحظها الإنسانية بأسرها وتعود عليها فى منافعها وخيراتها.

فكل عظيم قدير..

ولكن ليس كل قدير بالعظيم..

والعظمة قدرة وزيادة..

أما القدرة فليس من اللازم أن تكون عظمة، فضلاً عن أن تكون عظمة وزيادة..

ومعاوية قدير ولا ريب..

وربما كان اسم الدولة الإسلامية فى إبان الفتح حماية لها تقوم فى ترويع خصومها مقام العدد والحصون، ولا أدل على ذلك من سلامة هذه الدولة فى عهد معاوية الثانى الذى اعتزل الحكومة ولزم داره كما جاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى «أربعين يومًا، وقيل: شهرين. وقيل: ثلاثة أشهر»..

قال السيوطى: «ولم يخرج إلى الباب ولا فعل شيئًا من الأمور ولا صلى بالناس». ولما خلع نفسه قال: «أيها الناس ضعفت عن أمركم فاختاروا من أحببتم، ثم احتضر وهو فى نحو العشرين فسألوه أن يستخلف أخاه خالدًا فقال: ما أصبت من حلاوتها فلم أتحمل مرارتها؟»..

ولم يتفق المسلمون على خليفة بعد معاوية الثانى حتى قام عبدالملك بن مروان بالأمر سنة ثلاث وسبعين.. أى بعد تسع سنين.

قال عمرو لمعاوية: «أترى أننا خالفنا عليًا لفضل منّا عليه؟.. لا والله إن هى إلا الدنيا نتكالب عليها، وايم الله لتقطعن لى قطعة من دنياك وإلا نابذتك[2]».

ونقل الخبر عن دس السم للحسن رضوان الله عليه مؤرخ من الأمويين هو أبو الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى المشهور.

قال فى كتابه مقاتل الطالبيين: «أرسل معاوية إلى ابنة الأشعث: إنى مزوجك بيزيد ابنى على أن تسمى الحسن بن على... وبعث إليها بمائة ألف درهم فقبلت وسمت الحسن فسوغها[27] المال ولم يزوجها من يزيد، فخلف عليها رجل من أهل طلحة فأولدها، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا: يابنى مسمة الأزواج».



قال ابن الأثير بعد أقاويل شتى: «إن زيادًا خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حجر بن عدى: الصلاة!.. فمضى فى خطبته.. فقال: الصلاة!.. فمضى فى خطبته.. فلما خشى حجر بن عدى فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من حصى، وقام إلى الصلاة، وقام الناس معه، فلما رأى زياد ذلك نزل فصلى بالناس، وكتب إلى معاوية وكثر عليه، فكتب إليه معاوية ليشده بالحديد ويرسله إليه. فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه، فقال حجر: لا، ولكن سمعًا وطاعة. فشد فى الحديد وحمل إلى معاوية، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال معاوية: أأمير المؤمنين أنا؟.. والله لا أقيلك[٢٢] ولا أستقيلك[٢٣].. أخرجوه فاضربوا عنقه، فقال حجر للذين يلون أمره: دعونى حتى أصلى ركعتين، فقالوا: صلِّ، فصلى ركعتين خفف فيهما، ثم قال: لولا أن تظنوا بى غير الذى أردت لأطلتهما، وقال لمن حضر من قومه: والله لا تطلقوا عنى حديدًا ولا تغسلوا عنى دمًا. فإنى لاقٍ معاوية غدًا على الجادة. وضربت عنقه».

ودهش الناس لهذه المقتلة الجزاف، واهتز لها العالم الإسلامى هزة عنيفة أورثته مبغضة لدولة بنى أمية من تلك المبغضات التى كمنت وطالت حتى نسيت أسبابها وبقيت نوازعها، وظل شبح الشهيد الوقور يساور معاوية إلى يوم وفاته، فجاء فى رواية ابن سيرين: «إن معاوية لما حضرته الوفاة، جعل يقول: يومى منك يا حجر طويل».

عدا عبيد لمعاوية على أرض ابن الزبير فكتب إليه ابن الزبير: «أما بعد يا معاوية، إن لم تمنع عبيدك من دخول أرضى وإلا كان لى ولك شأن».

وقيل: إن معاوية أطلع ابنه يزيد على كتاب ابن الزبير وسأله: ما ترى؟ فقال له يزيد: لتنفذن إليه جيشًا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه.

فقال: بل عندى يابنى خير من ذلك، وكتب إلى ابن الزبير:

«وقفت على كتابك يا ابن حوارى[٢٢] رسول الله ﷺ، وساءنى والله ما ساءك، والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك، وقد كتبت على نفسى رقيمًا[٢٣] بالأرض والعبيد وأشهدت على ما فيه، ولتضف الأرض إلى أرضك والعبيد إلى عبيدك والسلام».

فجاءه الجواب من ابن الزبير يقول فيه: «وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام»..

وأطلع معاوية ابنه على الكتاب الثانى كما أطلعه على الكتاب الأول فأسفر[٢٤] وجهه، وأبوه يقول: إذا رميت بهذا الداء فداوه بهذا الدواء.

وجاءته بكارة الهلالية بالمدينة، وقد أسنت وغشي[١١] بصرها، فسلمت وجلست، فرد عليها السلام وقال: كيف أنت يا خالة؟

فقالت: بخير يا أمير المؤمنين. قال: غيَّرك الدهر. قالت: كذلك هو ذو غير، ومن عاش كبر، ومن مات قبر.

قال عمرو بن العاص: هى والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يا زيد دونك فاحتضر من دارنا سيفًا حسامًا فى التــراب دفينا
قد كنت أدخره ليوم كريــــهة فاليوم أبرزه الزمـــان مصونًا

وقال مروان: هى والله القائلة يا أمير المؤمنين:

أترى ابن هند للخلافة مالكًـا هيهات!.. ذاك وإن أراد بعيــد
منَّتك نفسك فى الخلاء ضلالـة أغــراك عمرو – للشقا – وسعيد

وقال سعيد بن العاص: هى والله القائلة:

فالله أخَّـر مدتى فتطــاولت حتى رأيت من الزمـــان عجائبًا
فى كل يوم للزمــان خطيبهم بين الجميـع لآل أحمـد عاتبــًا

فقالت بكارة: نبحتنى كلابك يا أمير المؤمنين.. وأنا والله قائلة ما قالوا، لا أدفع ذلك بتكذيب، وما خفى عليك منى أكثر، فامض لشأنك، فلا خير فى العيش بعد أمير المؤمنين..

فضحك معاوية وقال: ليس يمنعنا ذلك من برك. اذكرى حاجتك، قالت: أما الآن فلا..

ويتمُّ الرواة روايتهم فيقولون إنه قضى حوائجها وردَّها إلى بلدها..



وروى العقد الفريد أن هشام بن عبد الملك سأل خالد بن صفوان: بمَ بلغ فيكم الأحنف ما بلغ؟ فقال: إن شئت أخبرتك بخلة، وإن شئت بخلتين، وإن شئت بثلاث..

قال: فما الخلة؟

قال: كان أقوى الناس على نفسه.

ثم قال عن الخلتين: إنه كان مُوقَى الشر مُلقَى الخير، وعن الثلاث: إنه كان لا يجهل ولا يبغى ولا يبخل.

وأستاذ الأحنف فى الحلم قيس بن عاصم المنقرى كان مشهورًا بالإقدام كشهرته بالحلم والإغضاء عن الذنب كبيره وصغيره، وبلغ من حلمه أنه صفح عن ابن أخيه الذى قتل ابنه، وقد أوثقه مَنْ وَدَّ أن يبطش به لساعته، فما زاد على أن قال له مؤنبًا: «بئس ما فعلت. نقصت عددك، وخنت عشيرتك، وأسقطت مروءتك، وأشمت عدوك، وأسأت قومك.. وأنت الذى كنا نرجو لعظائم الأمور» ثم واسى زوجته أم القتيل وأجزل لها الدية من ماله، وحسم بذلك شرًا مستطيرًا فى القبيلة لا يجعله عنده أخطر من شر الثكل إلا الحلم الراجح، والقلب الكبير، والنظر البعيد.

فليس أضل ضلالاً ولا أجهل جهلاً من المؤرخين الذين سموا سنة «إحدى وأربعين هجرية» بعام الجماعة؛ لأنها السنة التى استأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها؛ لأن صدر الإسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة كما تفرقت فى تلك السنة، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها.

إذ كانت خطة معاوية فى الأمن والتأمين قائمة على فكرة واحدة هى التفرقة بين الجميع، وسيان بعد ذلك سكنوا عن رضا منهم بالحال، أو سكنوا عجزًا منهم عن السخط والاعتراض، وكان سكونهم سكون أيام أو كان سكون الأعمار والأعوام.

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)



www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355